مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس والثلاثون، العدد الخامس، 2021.
hptt: 10.35682/0062-036-005-002

فضاءات الواقع التطبيقي لمعالجة علوم متقاربة الأحداث .. الحديبية أنموذجا

نمـــاء محمد البنا*

ملخص

تختزن ثقافة الأمم في ثلاثة علوم هي أعمدة علومها: الدين واللغة والتاريخ، ومما يتميز به الدين الإسلامي ارتباط هذه الثلاثة برسالة الإسلام الدينية؛ ومعجزة هذا الدين في حفظهم وبقائهم فحُفظ المصدرين الأساسيين القرآن والسنة الصحيحة بحفظ الله، ومنهما وبهما حفظت اللغة العربية، وحفظ تاريخها الأول لارتباطه بالرسالة والرسول فكانت السيرة مفتاح علم التاريخ الإسلامي ومقدمته.

في القرون الأولى كان ثمة حدث واحد تتناوله هذه العلوم الثلاثة: الحديث، السيرة، والتاريخ. كيف تعامل أصحاب كل علم من هذه العلوم مع ذات الحدث؟ وما هي دواعي الاختلاف بينهم وانعكاساته؟ هذان السؤالان ستجيب عنهما هذه الدراسة ليس عبر التنظير العلمي المجرد فقط، بل من خلال دراسة تطبيقة. واختار الباحث حدث الحديبية لإجراء الدراسة التطبيقية عليه.

تبيّن هذه الدراسة – وذلك من خلال النموذج التطبيقي – أن ثمة تقاطعات كبيرة ومهمة بين هذه العلوم، ولكنها تظهر بوضوح اختلافات حقيقة في أهداف هذه العلوم، نتج عنه اختلافات في زمن النشأة لكل منها، وطبيعة الموضوعات التي تناولتها، والمصنفات التي صنفت فيها، وطريقة التصنيف، واختلفوا أيضا في العلوم المساندة التي نشات لخدمتها، وغيرها.

الكلمات الدالة: الحديث، السيرة النبوية، التاريخ الإسلامي، الحديبية.

* قسم أصول الدين، الجامعة الأردنية، الأردن.

تاريخ تقديم البحث: 2017/5/15 م. تاريخ قبول البحث: 2018/3/12 م .

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2021م.

The Methods of "Convergent Science" in Handling Events .. Al Hudaybiyah as a Model

Nama Mohammad Albanna

Abstract

The culture of any nation is stored in a main three sciences; Religion, Language and History. Islam has been distinguished in that all these three sciences are related to Islamic religious message. And the miracle of this religion is that Allah protects the main sources: the Quran and the reliable Sunnah. Among them, the Arabic language was preserved and the first history of Islam, because of its attachment to the message of Islam and the Prophet, thus, the biography was the key and the introduction to Islamic history.

In the first centuries, there was one event that these three sciences deal with: Prophetic Hadith , proghetic biography, and history. How did the owners of each science deal with the same event? And what are the differences between them and their implications? These two questions will be answered by this study not only through abstract scientific theory, but through an applied study.The researcher has chosen the Hudaybia event to conduct the applied study.

This study shows that there are real differences in the objectives of these sciences, which resulted in differences in the time of the origin of each of them, the nature of the subjects that dealt with them, the classified works and the method of classification.They also differed in the supporting sciences that were created to serve them.

Keywords: Hadith - Biography of the Prophet - Islamic history – Hudaybiya

مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس والثلاثون، العدد الخامس، 2021.
hptt: 10.35682/0062-036-005-002

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم. والصلاة والسلام على عبده وصفوة خلقه وحبيبه ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

يغلب على عدد ليس قليل من دراساتنا الشرعية العلمية الجانب التنظيري، وهذا ليس عيبا بالطبع إذ إن التنظير لا يكون إلا نتيجة دراسة معمّقة ومعايشة مكثّفة للواقع التطبيقي. ويبقى للدراسة التطبيقية "المقارنة" قوة خفية عند الدارس للعلم الشرعي ربما لأنها تضع كل ما قرأه وسمعه وبحثه بنفسه أو بحث فيه غيره في حيز التطبيق، وتنتقل به من "عالم المجردات" إلى "عالم الواقعيات" بالدليل والبرهان.

يسعى هذا البحث لإجراء مقارنة علمية بين علوم ثلاثة متقاربة إلا أن لكل منها طابعها الخاص وهي: الحديث والسيرة والتاريخ الإسلامي من حيث الاختلاف المنهجي لهذه العلوم من خلال تناول الباحث لحدث معين ودراسة كيف تعامل أو عالج كل علم من هذه العلوم تلك الواقعة أو ذلك الحدث.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من خلال تنزيل الخلاصات العلمية التنظيرية على أرض الواقع مما يؤدي إلى فهم أعمق وأدق، وتقدير أكبر لكل علماء هذه العلوم الثلاثة.

مشكلة البحث:

- لماذا تختلف علوم متقاربة النشأة والموضوع –نوعا ما– في منهجيتها؟
- وبماذا تختلف؟
- ما هو منهج كلٍّ منها (علم السيرة والتاريخ والحديث) في تناول حدث معين؟

الهدف: تهدف هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على جوانب الاختلاف بين هذه العلوم الثلاثة.

كما تهدف إلى تنزيل واقع هذا الاختلاف عبر الأنموذج التطبيقي ودراسته.

تتكون هذه الراسة من مبحثين:

التمهيد: جوانب اختلاف العلوم الثلاثة عن بعضها وعلاقتها ببعض.

المبحث الأساس: منهج كل من هذه العلوم في تناول حدث معين. وفيه مسائل.

التمهيد: جوانب اختلاف العلوم الثلاثة عن بعضها وعلاقتها ببعض

العِلم العَلَم بين العلوم الثلاثة موضوع البحث (الحديث والسيرة والتاريخ) هو بلا منازع علم الحديث الشريف. يقول (Munazer,1956): "وصلة الحديث تُربط عادة ببداية تاريخ المسلمين، ولكنني أقرر –في ضوء الوقائع والحوادث– أن الحديث جزء من تاريخ الإنسانية، لا لأنه يمتاز بصلته بعصر انقلابي عالمي لا نظير له في العصور المتقدمة فحسب، بل يمتاز أيضا بثقته وصحته عن كل تاريخ يملكه فرد أو أمة في العصر الحاضر".

كما تعد السيرة جزءا من السنة، ومع زيادة الإهتمام بسيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم– بدأت مرحلة خروج السيرة من رحم كتب الحديث لتستقل بذاتها كعلم مستقل عن الحديث النبوي، والدليل على ذلك أن كتبة السيرة الأوائل هم محدثون، يقول العمري(Al-'Omari,ND):" وأهم المحدثين الذين عنوا بأخبار السيرة النبوية هم أبان بن عثمان، وعروة بن الزبير بن العوام، وعاصم إبن عمر بن قتادة، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وموسى بن عقبة، ومعمر بن راشد، ومحمد إبن إسحاق، وسليمان بن طرخان التيمي، والوليد بن مسلم الدمشقي، ومحمد بن عائذ الدمشقي، وأبو معشر السندي..، وبذلك يمكن القول بأن السيرة النبوية حظيت بنخبة من أهل العلم دونت أخبارها وصنفتها؛ وبذلك تم حفظها وأمكن الثقة بمعلوماتها، وهذا مما هيأه الله تعالى لسيرة نبيه صلى الله عليه وسلم.. ثم تتابع الاهتمام بالتدوين والتصنيف في التأريخ بما في ذلك فترة السيرة النبوية. وكان الاعتماد في نقل أخبارها على روّادها الأوائل من المحدثين".

ومع بدء التأليف والتصنيف ظهر الأخباريون –وهم رواة الأخبار التأريخية الذين ظهروا في القرن الثاني الهجري– وبدأنا نرى كتبا متخصصة في التأريخ تحوي السيرة النبوية كمرحلة منها، وبدأ كل علم يستقل بطابعه الخاص (Al-'Omari,ND) الأمر الذي أنشأ اختلافا بعد ذلك بين المحدثين من جهة والمؤرخين من جهة ثانية.

ولعل الوقوف على أبرز ملامح هذا الاختلاف يوضح ما يرمي إليه الباحث؛ إذ ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن هذا الاختلاف له أسبابه ومبرراته، ومن أهم هذه الأسباب اختلاف المنطلقات لكل منهما واختلاف الإهتمامات والأهداف؛ ففي حين يغلب على المؤرخين الشغف بالإلمام بجوانب الحدث والولع بإكمال تفاصيل القصة، الأمر الذي قد يحدو به إلى أن يكون هدفه الأول والرئيس اكتمال الحدث أو القصة، والبحث عنها في كل مكان ومن أي أحد، نجد أن المحدثين كان هدفهم

الغالب التأكد من سلامة ما ينسب للرسول– صلى الله عليه وسلم– لبناء حكم شرعي، يحدوهم الحرص الشديد أن لا يقبلوا أن يحمل هذا العلم إلا من اجتمعت فيه مواصفات وسمات مخصوصة، وبعد أن يعرّضوا مروياته لعمليات فحص دقيقة وغربلة علمية رصينة.

وأدى اختلاف الأهداف أن تختلف المنهجيات لدى كل من المحدثين والمؤرخين، فلما كان الهدف الأول لدى المحدثين الحفاظ على الحديث النبوي سليما من أي قدح، أدى ذلك بهم إلى أن يضعوا قواعد وضوابط وأسس متينة كوّنت بعد ذلك ما يسمى بعلم الحديث، وفتشوا عن رواة الحديث وأخضعوهم لمعايير علمية عالية الدقة وهو ما يسمى علم الجرح والتعديل، ونقبوا عن مروياتهم فردّوا وقبلوا بناء على قواعد وخصوصا في الروايات الحديثية التي ينبني عليها أحكام.

ومما يميز منهج المحدثين عن المؤرخين هو خلو روايات المحدثين (الواقعة تحت التمحيص) أقول خلوها من التأثيرات المذهبية والسياسية والفكرية، والتي رُمي بها كثير من أهل التاريخ والسيرة وتاثرت بها مروياتهم، فلا تكاد تجد مؤرخا–غير محدِّث– إلا ورمي ببدعة أو بتبنيه مذهبا معينا، أو بقربه من السلطان، أو غير ذلك مما عدّه المحدثون طعنا في عدالة الراوي.

وفي ذات الإطار نجد أن هدف المؤرخين الذي ذكرناه وهو الحصول على الصورة المتكاملة للحدث، أدى بهم إلى اتباع منهجية التجميع المقرونة في أحيان كثيرة بالتهاون في قبول الراوي والرواية بالنسبة للمحدثين، وأدى بهم إلى التخفف من أثقال علم الجرح والتعديل الذي اعتمده المحدثون، والابتعاد عن معالجة الأسانيد والروايات مما أدى إلى ابتعادهم نوعا ما عن ضوابط علم الحديث يقول العمري (Al-'Omari,ND) :"ونظراً لظهور المحدثين المبكر على ظهور الأخباريين، فإنهم تقدموهم في وضع قوانين الرواية، وقلّدهم الأخباريون في طرائق العرض، فكلاهما يهتم بالسند من حيث الظاهر، لكن أسانيد المحدثين حَوَتْ رواة تعرف سيرهم وتتميز أشخاصهم، أما أسانيد الأخباريين فيرد فيها رواة لا نجد لهم في كتب التراجم ذكراً.".

وتختلف منطلقات كل من الفريقين، ففي حين ينطلق المؤرخون من التجميع للرواية، نجد أن المحدثين ينطلقون من القبول للرواية، الأمر الذي جعل المؤرخين يتجوّزون في الجمع بين الشيوخ ورواياتهم في قالب رواية واحدة دون التمييز بين كل راو وروايته، ودون اعتبار لجمع ثقة مع ضعيف أو متروك أو هالك، وذلك لتظهر الرواية أو القصة أو الحدث تاما وبصورة سردية مقبولة تاريخيا.

في حين أن المحدثين ينطلقون من قبول الرواية وبالتالي صلاحيتها للاحتجاج؛ فلا يعنيهم تكامل عناصر الرواية أو القصة، وإن جلّ ما يعنيهم هو قبول متن هذه الرواية، وبغض النظر حوت جزءا من الحدث أو الحدث كله، ولهذا نجد في كتب الحديث –للوقوف على الرواية كاملة– حاجة ملحّة لتخريج الرواية، وجمع الروايات للحديث الواحد حتى تكتمل الصورة في كثير من الأحيان، وهذا جزء مما يُطلق عليه الآن في علوم الحديث "الحديث الموضوعي"، فمثلا لو أردت أن تقف على سيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم– في التعامل مع خادمه أنس بن مالك –رضي الله عنه– من خلال الصحيحين فعليك أن تجمع كل الأحاديث من مختلف الكتب والأبواب والمسانيد حتى تقف على الصورة المتكاملة، إلا أنك ستكون مطمئن النفس لكل ما تقرأه من أحداث وقصص، فالمحدّث ليس معنيا بتجميع عناصر القصة كما هو الحال عند المؤرخ إنما ما يعنيه إذا كان يصنف على المسانيد أن يجمع روايات الصحابي الواحد، وإذا كان يصنف على الموضوعات أن يذكر الرواية تحت الترجمة والباب والكتاب الملائم لها(Ma'rouf, (1386).

وقد تعامل المحدثون مع المؤرخين بذات الضوابط الحديثية؛ فجرّحوهم وعدّلوهم وأرادوا أن يخضعوا الروايات التاريخية –بما فيها طبعا السيرة النبوية– لضوابط قبول الرواية الحديثية مما ساهم في توسيع الفجوة بين المحدثين والمؤرخين الذين اعتقدوا أنه من عدم الإنصاف معاملة الرواية التاريخية كما الرواية الحديثية وبالذات مما لا يترتب عليها حكم، ولعلهم اعتمدوا على قول المحدثين أنفسهم كقول الحاكم (Alhakim,1411 AH) نقلا عن عبد الرحمن بن مهدي: "إذا روينا عن النبي – صلى الله عليه وسلم– في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد، وانتقدنا الرجال، وإذا روينا في فضائل الأعمال والثواب والعقاب والمباحات والدعوات تساهلنا في الأسانيد"، وقريبا منه قول الخطيب عن الإمام أحمد: "إذا روينا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عنه في فضائل الأعمال وما لا يضع حكما ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد".

ولعل الجدول أدناه يظهر بوضوح الاختلاف المنهجي بين العلوم الثلاثة:

الهدف	الحديث	السيرة	التاريخ الإسلامي
الأحكام الشرعية	- الغرض الأساسي معرفة المصدر الثاني للتشريع-الحديث- والحفاظ عليه من أي أمر يعتريه	- الغرض الأساسي حياة الرسول وأحداثها وبالذات مغازيه	- الغرض الأساسي تسجيل الأحداث والحصول على الصورة المتكاملة للحدث
	- يعد مصدراً أساسيا للأحكام الشرعية الإسلامية	- تعد السيرة مصدرا ثانويا للأحكام الشرعية أو توضيحياً	- تسجيل لكيفية تطبيق الأحكام الشرعية لكنه ليس مصدرا شرعيا
بدء التصنيف فيها	- أقدمهم جمعا وكتابة حيث بدأت الكتابة في عهد الرسول ثم التدوين بعهد عمر بن عبد العزيز ثم التصنيف بعد ذلك وأهم مصنف صحيح البخاري	- كانت ضمن الحديث ثم انفصلت عنه فأول من صنف فيها منفصلة عروة بن الزبير بن العوام(94هـ)قاله الواقدي كما ذكر ابن كثير Ibn (Kathir,1986)	- بدأ التصنيف في التاريخ الإسلامي بالسيرة النبوية التي بدأت من الحديث ثم انفصلت عنه واستقر التصنيف في التاريخ منفصلا في
أشهر المصنفات	- أهمها الكتب الستة والتي أشهرها صحيح البخاري(256هـ) ثم صحيح مسلم(261هـ) - ثم سنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. - وموطأ مالك ومسند أحمد وسنن الدارمي	- أهمها سيرة موسى بن عقبة(141هـ) وسيرة محمد بن إسحاق بن يسار(151هـ) التي هذبها ابن هشام في سيرته (ورغم أن مغازي موسى بن عقبة مفقودة إلا أن قسماً كبيراً منها قد حفظ لنا في بطون كتب السيرة والتاريخ، وقد أكثر من الاعتماد عليها ابن سعد في الطبقات وابن عبدالبر في الدرر وابن سيد الناس وغيرهم).	- أهمها تاريخ الطبري - مع أنه سبقه خليفة بن خياط (240هـ) شيخ البخاري- - وابن أبي خيثمة: أحمد بن زهير بن حرب (279هـ) في كتابه "التاريخ الكبير" - والبلاذري أحمد بن يحيى بن جابر (279هـ) كتابيه "فتوح البلدان" و"انساب الأشراف"
طريقة التصنيف	- يصنف على المسانيد أو على الموضوعات	- بدأ التصنيف بها على ترتيب الأحداث زمنيا ثم بدأت بعض المصنفات تأخذ طابعا آخر مثل المنهج الحركي في السيرة النبوية	- بدأ التصنيف به معتمدا على الحوليات بمعنى كل سنة وماذا حدث بها - في العصور المتأخرة قد نجد تخصيص لبلد كتاريخ بغداد أو تاريخ دمشق..أو عبر علمة كتاريخ ابن خلدون

	الحديث	السيرة	التاريخ الإسلامي
المتعلقات	علم كامل يسمى علم الحديث يتناول - الجرح والتعديل - والحكم على المرويات - الرواية والدراية - علوم الإسناد - علوم المتن - الناسخ والمنسوخ - مختلف الحديث - وغيره كثير..	تتضمن بالإضافة للهدف الأساسي: - أول من أسلم - قصص إسلام بعض الصحابة - من بايع في كل بيعة - من شارك في المعارك الأولى - السرايا التي لم يكن الرسول بها - .. - ..	- يهتم المؤرخون بترتيب الأحداث زمنياً على السنوات مع الاهتمام عادة بذكر تاريخ البشر منذ الخليقة إلى عصر كل مؤرخ، فتدخل السيرة النبوية في كتاباتهم من هذا المنطلق، مع اهتمامهم الشديد بها، نظراً لكونها سيرة تتضمن أخبار الرسول - يوردون المراسيل والروايات المنقطعة والقصص والأخبار
وثاقة المرويات	- أعلى العلوم الثلاثة وثاقة فلا يقبل أخذ الأحكام إلا مما يقبل من المرويات - بل انتقدوا من سار على غير طريقتهم في تمحيص الروايات فانتقد المحدثون المؤرخين بشدة على منهجهم في كتابة التاريخ بما فيها السيرة، يذكر (Al-Baghdadi, 1403 AH)؛ (AL- 'AsqAlani, 1986) عن الإمام أحمد قال:" ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير"، وعندما ذكر ابن حجر (AL- 'AsqAlani, 1986) عبارة الإمام أحمد قال:" ينبغي أن يضاف إليها الفضائل، فهذه أودية الأحاديث الضعيفة والموضوعة، إذ كانت العمدة في المغازي على مثل الواقدي، وفي التفسير على مثل مقاتل والكلبي، وفي الملاحم على الإسرائيليات، وأما الفضائل فلا تحصى كم وضع الرافضة في فضل أهل البيت، وعارضهم جهلة أهل	- هناك تساهل في قبول مرويات السيرة التي لا يبنى عليه أحكام كما قال الحاكم[1] (Al Naisaburi, 1411 AH ؛)Al-Baghdadin,1403	- هناك تساهل في قبول المرويات التاريخية

مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس والثلاثون، العدد الخامس، 2021.
hptt: 10.35682/0062-036-005-002

	الحديث	السيرة	التاريخ الإسلامي
اتساع وضيق مساحة[2]	المنة بفضائل معاوية وبفضائل الشيخين وقد أغناهما الله وأعلى مرتبتهما عنها".		
	- أوسع من السيرة والتاريخ موضوعا لأنه يتعلق بحياة الرسول وكل المواقف التي حدثت من غيره بوجوده أو بغيابه لكنه علم بها	- أوسع من الحديث زمنا لأنه يتناول حياة الرسول قبل وبعد البعثة بينما الحديث يتناولها بعد البعثة	- أوسع من الحديث والسيرة مساحة زمنية ومكانية وبشرية لأنه يضيف على السيرة النبوية سيرة الحكام والعلماء والدول بعدها
الزمن	- لا ترتيب زمني باستثناء ما يتعلق بالناسخ والمنسوخ	- الترتيب الزمني مقصود بذاته	- الترتيب الزمني مقصود بذاته
حدود موضوعه	- ما صدر عن الرسول من بعثته إلى وفاته وتحلل السنن والتشريعات المساحة الأكبر في الروايات الحديثية	- أحداث حياة الرسول من مولده وربما قبله بقليل إلى وفاته وتحلل المغازي الجزء الأكبر من سيرته	- بدايته غالبا جولة سريعة لما قبل الإسلام ونهايته بنهاية حقبة مصنفه
الإسناد في الروايات	- لا توجد فيه رواية مقبولة دون إسناد، وإن وجد الإسناد فلا يحتج بالرواية إلا بشروط.	- الاهتمام بالإسناد غالبا لكن إن لم يتوفر فيوردون روايات بلا إسناد ولا يشترطون صحة الإسناد لإيراد الرواية	- الاهتمام بالإسناد غالبا لكن إن لم يتوفر فيوردون روايات بلا إسناد - ولا يشترطون صحة الإسناد لإيراد الرواية
طريقة العرض للروايات	- متفرقة على الأبواب تبعا للحكم الشرعي أو السنة المراد الاستشهاد لها، مثلا فرق البخاري مرويات الحديبية على 18 بابا في 11 كتابا	- يجمعون روايات الحدث في مكان واحد وترتيب زمني غالبا	- جمع روايات الحدث الواحد وتفاصيله في مكان واحد وترتيب زمني غالبا
بماذا يتميز	- يتميز بالإسناد وخلو الروايات من التأثيرات المذهبية والسياسية والفكرية	- عنايتها بالمعلومات التفصيلية لحياة الرسول.	- يبحثون عن الحدث باليوم والشهر والسنة ومن حضره ومن غاب عنه وبجميع ما تقع عليه أيديهم مما له علاقة به

ثمة تقاطعات مهمة كانت في بدايات هذه العلوم الثلاثة، لكن هل اختلف منهجهم في إيراد مسألة معينة تناولتها العلوم الثلاثة؟ وهل تأثر أي علم بأي من العلمين الآخرين؟

ستعتمد هذه الدراسة بشكل أساسي– وليس حصريا– على أول كتابين سيرة وصلا إلينا كاملا* وهما مغازي الواقدي (ت 207هـ) وسيرة ابن هشام (ت:213هـ) فهو تهذيب لأول كتاب في السيرة النبوية، قال حاجي خليفة (KhAlifa, 1941) : "علم السير أول من صنف في الإمام المعروف: بمحمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي المتوفى: سنة 151، إحدى وخمسين ومائة وهذب: أبو محمد: عبد الملك بن هشام الحميري المتوفى: سنة 218، ثمان عشرة ومائتين فأحسن وأجاد"، وأهم كتاب في التاريخ الإسلامي تاريخ الطبري (ت: 277هـ) حيث قيل فيه: "تاريخ الطبري هو: الإمام أبو جعفر محمد بن جرير المتوفى: سنة عشر وثلاثمائة وهو من التواريخ المشـهورة الجامعة لأخبار العالم (KhAlifa, 1941) "، وعلى أهم وأصح كتابين في الحديث النبوي صحيح البخاري (ت:256هـ) وصحيح مسلم (ت: 261هـ) وقيل عنهما: "وكان غاية هذا العلم انتهت إلى البخاري ومسلم ومن كان في عصرهما (KhAlifa, 1941) " وستتناول حدثا معينا هو الحديبية.

ذكرت كتب العلوم الثلاثة حدث الحديبية، فقد ذكرته كتب الحديث والتاريخ والسيرة، ولا أدل على أهمية الحدث من نزول سورة قرآنية بسبب الحادثة، وآيات تتناول بعض أحداثه، بل قد جعله كثير من الصحابة ومن بعدهم حدثا رئيسيا ينسبون إليه بعض أحداثهم التي حدثت بعده، يقول المقريزي (Al-Maqrizi,1999) عن سبب فتح مكة:" فلما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهرا من صلح الحديبيّة"، ويقول السيوطي(AL-Suyuti, ND) : "فَكَانَ ظُهُور فَارس على الرّوم فِي تسع سِنِين ثمَّ أظهر الله الرّوم على فَارس زمن الْحُدَيْبِيَة ففرح الْمُسلمُونَ بِظُهُور أهل الْكتاب"، وهو من أحداث المسلمين التي جعل لمن شهده ميزة، فقد جعلت ميزات معينة لمن بايع في الحديبية، فمن ميزات الصحابة الذين شهدوا الحديبية أن غنائم خيبر كانت لهم دون غيرهم كما ذكر عبد الرزاق (Al-San'ani, 1403) وبقيت مبايعتهم في الحديبية سبباً لعلو مكانتهم في الأعطيات بعد ذلك، وفي ذكر مآثرهم.

* سبقه غيره في التصنيف لكن كما أشرنا هو أول كتاب متخصص في السيرة وحدها مما وصل إلينا كاملاً .

مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس والثلاثون، العدد الخامس، 2021.
hptt: 10.35682/0062-036-005-002

المسألة الأولى: هل للاختلاف في اسم حدث الحديبية دلالات معينة

وردت هذه الحادثة بمسميات متعددة؛ مثل(Ibn Hisham, 1955) "أمر الحديبية"، وبعضهم (AL-Tabari, ND) أطلق عليها "قصة الحديبية"، وآخرون (Ibn 'Abd Al-Barr, 1403 AH) "عمرة الحديبية"، وقد أسماها بعضهم (Al-Maqrizi, 1999) "فتح الحديبية"، والبعض (AL-Suyuti, ND)"عام أو زمن الحديبية"، بينما أطلق عليها غيرهم (Al-QastAllani, ND) "صلح الحديبية"، وأخيرا "غزوة الحديبية "(Al-Bukhari, 1407) أو "يوم الحديبية" (Al-Qazwini,ND) .

يبدو الاتفاق جليا في ذكر "الحديبية" عند ذكر الحادثة، وأنه لا اختلاف بين المرويات الحديثية ومرويات السيرة والمرويات التاريخية فيه، والحديبية هو المكان الذي وقعت فيه الحادثة، واختلفت التسميات المضافة لها ولعل ذلك:

- اعتمادا لما أطلقه القرآن على الحدث؛ فقد جاء في القرآن { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} سورة الفتح: آية 1، والمقصود بالفتح صلح الحديبية، فمن استعمل هذا الإطلاق القرآني قال فتح الحديبية. وجاء في السورة نفسها {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} سورة الفتح: آية 18، والبيعة كانت على الجهاد وقتال المشركين، فمن اعتمد هذا أطلق عليها غزوة الحديبية، كما جاء في القرآن {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} سورة الفتح: آية 27 ، وهذا كناية عن العمرة وهي الهدف من خروج المسلمين، فمن نظر إلى هذا الجانب أطلق عليها عمرة الحديبية.
- أو تبعا للتعبير النبوي عن الحدث؛ فيروي مسلم (Al- Naisaburi, ND) عن سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يَوْمَ صِفِّينَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، .. قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْ فَتْحٌ هُو؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ"، وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ} إِلَى قَوْلِهِ {فَوْزًا عَظِيمًا} مَرْجِعَهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَهُمْ يُخَالِطُهُمُ الْحُزْنُ وَالْكَآبَةُ، وَقَدْ نَحَرَ الْهَدْيَ بِالْحُدَيْبِيَةِ، فَقَالَ: "لَقَدْ أُنْزِلَتْ

عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا" (Al- Naisaburi, ND)، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} قَالَ: "الْحُدَيْبِيَةُ" كما عند أحمد (HanbAl, 2001)، فاتباعا لما جاء النبي في الآية (وهو تبشيره أنها فتح عظيم) قام المؤلفون بتسمية الحادثة فتح الحديبية. وفي حديث آخر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرْبَعًا عُمْرَةَ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَعُمْرَةَ الْقَضَاءِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ قَابِلٍ، وَعُمْرَةَ الثَّالِثَةِ مِنَ الْجِعِرَّانَةِ، وَالرَّابِعَةَ الَّتِي مَعَ حَجَّتِهِ"(HanbAl, 2001)، ومن مثل هذه الأحاديث جاءت التسمية بالصلح، او الفتح، أو العمرة.

- وبعضهم أطلق الاسم تبعا للحدث المراد التعبير عنه في حقبة زمنية؛ يقول السيوطي (AL-Suyuti,ND) : "بَاب مَا وَقع عَام الْحُدَيْبِيَة من الْآيَات والمعجزات".
- واختلفت كذلك تبعا لإطلاقات الرواة على الحادثة أثناء روايتهم لها، ومعايشتهم أحداثها، فالصحابة الذين عايشوا الحادثة رووها عند عودتهم، فما أطلقوه عليها اعتمده من ذكرها بعدهم من كتاب التاريخ أو السيرة وحتى مصنفي الحديث؛ فعَن الْبَراء قَالَ: تَعدونَ أَنْتُم الْفَتْح فتح مَكَّة، وَقد كَانَ فتح مَكَّة فتحا، وَنحن نعد الْفَتْح بيعَة الرضْوَان يَوْم الْحُدَيْبِيَة ما ذكر ابن الجوزي (Ibn Al-Jawzi,ND).

وقال الواقدي (Al-Waqidi, 1989) : "وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَا كَانَ فَتْحٌ فِي الْإِسْلَامِ أَعْظَمَ مِنْ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَلَكِنّ النّاسَ يَوْمئِذٍ قَصَرَ رَأْيُهُمْ عَمّا كَانَ بَيْنَ مُحَمّدٍ وَرَبّهِ، وَالْعِبَادُ يَعْجَلُونَ، وَاَللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَعْجَلُ كَعَجَلَةِ الْعِبَادِ حَتّى تَبْلُغَ الْأُمُورُ مَا أَرَادَ اللهُ". وقال عمر إبن الخطاب في حجة الوداع: "ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبيّة" (Al-Maqrizi, 1999)، وقال: "قد رأينا الحديبيّة وداخلني في الحديبيّة من الشك ما لا يعلمه إلا اللَّه، وراجعت رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم يومئذ بكلام، ليت أني لم أفعل وأن أهلي ومالي ذهبا، ثم كانت الخيرة لنا من اللَّه فيما صنع، فلم يكن فتح كان خيرا للناس من صلح الحديبيّة بلا سيف" (Al-Maqrizi, 1999)، وكذا قال الصحابيان المسور ومروان: "وَكَانَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ فَتْحًا عَظِيمًا" كما عند البيهقي (Al-Bayhaqi, 1405). ويقول الزهرى (AL-Kela'i, 1420 AH): فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه. وقد يكون هذا السبب هو ذاته الذي جعل غالب المفسرين يفسرون الآية القرآنية (إنا فتحنا لك فتحاً مبينا) سورة الفتح، آية1 بصلح الحديبية.

ويروي الإمام أحمد (HanbAl, 2001) عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّه– صلى الله عليه وسلم – يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ:«أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ». وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ أَهْدَى جَمَلَ أَبِي جَهْلٍ الَّذِي كَانَ اسْتَلَبَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي رَأْسِهِ بُرَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي هَدْيِهِ". وحديث آخر يرويه ابن عَبَّاسٍ أيضا قال: رَمَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَيْتِ، وَكَذَبُوا، لَيْسَ بِسُنَّةٍ، إِنَّ قُرَيْشًا قَالَتْ: زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ: دَعُوا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَمُوتُوا مَوْتَ النَّغَفِ، فَلَمَّا صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يَقْدَمُوا مِنَ العَامِ الْمُقْبِلِ. (HanbAl, 2001)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أيضا قَالَ: "نَحَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَجِّ مِائَةَ بَدَنَةٍ، نَحَرَ بِيَدِهِ مِنْهَا سِتِّينَ، وَأَمَرَ بِبَقِيَّتِهَا، فَنُحِرَتْ، وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بَضْعَةً فَجُمِعَتْ فِي قِدْرٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، وَحَسَا مِنْ مَرَقِهَا، وَنَحَرَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ"(HanbAl, 2001)، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عُمَرٍ: عُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَعُمْرَةَ الْقَضَاءِ، وَالثَّالِثَةَ مِنَ الْجِعِرَّانَةِ، وَالرَّابِعَةَ الَّتِي مَعَ حَجَّتِهِ"(HanbAl, 2001)، وروى الصحابي عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: لَمَّا انْصَرَفْنَا مِنْ غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟" قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَقُلْتُ: أَنَا (HanbAl, 2001).

وعَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}، قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَنِيئًا مَرِيئًا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَمَا لَنَا؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} قَالَ شُعْبَةُ: كَانَ قَتَادَةُ يَذْكُرُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي قَصَصِهِ(HanbAl, 2001). وتَكَلَّمَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، يَعْنِي الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا(HanbAl, 2001).

- أو تبعاً لمساحة أهمية "الحدث الجزئي" من ذلك الحدث العام"الحديبية"، وأثره بحياة المسلمين في ذلك الوقت وبما بعده من تاريخهم؛ فمن رأى أن الصلح هو أهم ما جرى في ذلك الحدث اعتمده عنوانا (وأستطيع القول أنه الحدث الأكبر الذي لم يخل من ذكره أي مصدر تاريخي أو حديثي أو أي كتاب في السيرة)، ومن رأى أن البيعة هي الأبرز والأهم جعلها عنواناً، ومن كان ما يهمه هو الترتيب الزمني للأحداث عبّر بيوم أو قصة، وكذلك من رأى الغزوة لوجود الرسول فيها ومبايعته على القتال أسماها غزوة أو يوم، ومن نظر لأهمية نتائجها عنونها بالفتح، ومن

رأى الحدث بكل ما فيه جد مهم قال أمر الحديبية. فمن الصحابة الذين حضروها من أطلق عليها يوم الحديبية.

إطلاقات علماء العلوم الثلاثة على هذا الحدث:

اشتركت التسميات لهذا الحدث بين الفتح والغزوة والعمرة والصـلح وغيرها، لكن غلب على أهل هذه العلوم تسميات معينة؛ فمثلا نرى معظم المصنفـين في الحديث يطلقون عليها "صـلح" كما في سنن البيهقي (Al-Bayhaqi, 1989)، وتبعه النـووي عندما وضـع عنوان الباب في صحيح مسلم (Al- Naisaburi, ND) "صـلح الحديبية في الحديبية"، وتبعهم شـراح المصنفات الحديثية؛ فنرى ابن بطال (Ibn BattAl, 2003) يطلق عليهـا "صـلح الحديبية"، وابن الجوزي (Ibn Al-Jawzi,ND)، والنـووي (Al-Nawawi, 1392 AH) في شـرحه لصحيح مسـلم، وابن حجر في شـرحه لصـحيح البخاري (Al-AskAlani,1397) إلا أنه قال قصة صـلح الحديبية' والعيني (Al 'Aini,ND) في شـرحه، وصـاحب اللامـع للصحيح (Al-Baramawi, 1433 AH)، وفي كتاب منحة الباري (Al-Ansari, 2005)، وكذا في شرح المصابيح (Al- Karamani, 2012)، وفي الكواكب الدراري (Al-Kirmani, 1356 AH)، والسـندي (Al-Sindi, 1138 AH) فـي شـرحه لسـنن ابـن ماجـه، والقسطلانـي (Al-QastAllani, 1323) في أكثر من موضع.

وخالفهم البخاري الذي اشترك مع مصنفي السيرة حيث أطلق معظمهم عليها "غزوة"، ولعل مؤلفو كتب السيرة قد تبعوا البخاري (Al-Bukhari, 1987) في صحيحه وابن سعد في طبقاته حيث يقول:" غَزْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم الْحُدَيْبِيَةُ "(Ibn S'ad, 1968). وكذا أسماها الواقدي.(Al-Waqidi, 1989) في كتابه المغازي، وابن حبان (Al-Busti, 1417) عندما جعـل عنوانا في كتابه قـال فيه: "ثم كانت غزوة الحديبية"، وكذلك أبو الربيـع الكلاعـي (AL-Kela'i, 1420 AH) في كتابه، وابن كثير (Ibn Katheer, 1976) في كتاب السيرة من كتابه المميز البداية والنهاية، والشامي (AL-Shami, 1993) في سبل الهدى والرشاد،هذا مع العلم أن كل كتب السيرة تكلمت عن الصلح، لكن نقاشنا هنا عن تسمية ذلك الحدث وعنوانه في كتبهم.

مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس والثلاثون، العدد الخامس، 2021.
hptt: 10.35682/0062-036-005-002

وبعضهم سماها "أمر الحديبية"، وممن أطلق عليها "أمر الحديبية" ابن هشـــام في ســـيرته (Ibn Hisham, 1955) ويظهر هذا منهجه التجميعي فـ"أمر" تشمل الصلح والبيعة والعمرة وغيرهم، وتبعه السهيلي (Al-Suhaili, 1412) مقتبسا ذات العنوان وهو "أَمْرُ الْحُدَيْبِيَةِ فِي آخِرِ سَنَةِ سِتّ، وَذِكْرُ بَيْعَةِ الرّضْوَانِ وَالصّلْحِ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَبَيْنَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو"، والزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية حيث عنون ب"أمر الحديبية" (Al-Zurqani, 1996) ونرى من المصنفين للسيرة من يطلق عليها "فتح الحديبية"، والفتح هو صورة من صور الغزو لكن دون سلاح، فنرى ابن هشام(Ibn Hisham, 1955) يقول: "فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا، صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ"، وتبعه السهيلي (Al-Suhaili,1412 AH) حيث يقول: "فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا، صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ".

أمـــا أصـــحاب المؤلفات التاريخية فمعظمهم أطلق على الحدث "عمرة" مثل الطـــبري (AL-Tabari, ND) فقال: "ذكر الخبر عن عمرة النبي الَّتِي صَـــدَّهُ الْمُشْرِكُونَ فِيهَا عَنِ الْبَيْتِ، وَهِيَ قِصَّةُ الْحُدَيْبِيَةِ"، وكذلك ابن الجـــوزي (Ibn Al-Jawzi, 1992) وكذلك ابـــن خلـــدون (Ibn Khulduon, 1988) في كتابه الرائع، وجعل"عمرة الحديبية" عنوانا فيه، وكذا ابن سيد الناس (Ibn Sayid Al-Nas, 1993) حيث يذكر أحداث السنة السادسة يقول:" وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ:.. وَعُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَةِ، وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ"، وكذا ابن الأثير(Al-Jazari, 1997) والمـلا علي القـــاري (Al-Qari, 1421 AH). والقلـــيل منهم قـــال "صـــلح" مثـــل خليـــفة بـــن خيـــاط (Ibn Khiyat, 1397 AH)، والفاكهـــي في أخبـــار مكـــة، بينما نـــرى ابن عســـاكر (Ibn 'Assaker, 1995) يستخدم العباراتين العمـــرة (Ibn 'Assaker, 1995) والصلـــح (Ibn 'Assaker, 1995)، ونرى الذهبي (Al- Thahabi, 2003) يطلق عنوانا في تاريخه يدمج فيه حيث يقول"قصة غزوة الحديبية".

ومنهم من أطلق عليها عام أو زمن حيث بوب السيوطي (AL-Suyuti, ND) بهذا العنوان فقال:" بَاب مَا وَقع عَام الْحُدَيْبِيَة من الْآيَات والمعجزات".

إذن فقد تنوعت إطلاقات كل من مؤلفي السيرة والتاريخ ومصنفي كتب الحديث فأصحاب الحديث يبدو أكثر ما عناهم موضوع "الصلح" لاهتمامهم بالأحكام الشرعية المستمدة من الحدث، وأصحاب السيرة أكثر ما أطلقوا عليها اسم "الغزوة" لأن السيرة كانت تهتم كثيرا بالمغازي كما أسلفنا،

وكتاب التاريخ اهتموا بالحدث الأساسي وهو الخروج "للعمرة" فقد كانت هي المنطلق الأساسي لخروجموما تبعه كان ضمن هذا المنطلق، وذلك منهم تبعا للزاوية التي نظر إليها أو الحدث الذي اهتم به أو تبعا للاقتباس الذي رغب به.

المسألة الثانية: الاختلاف المنهجي في المادة العلمية المطروحة

العلوم الثلاثة تعتمد على الروايات في مادة تصنيفها العلمية، وكما ذكرنا أن الروايات الحديثية كان لها قصب السبق بين هذه العلوم إلا أنها أثرت بالسيرة التي بدورها كانت بداية علم التاريخ، فلم اختلفت المنهجية بين هذه العلوم مما اضطرها للإنفصال عن العلم الأم وهو الحديث؟.

إن اختلاف الهدف والغاية من التصنيف كان سببا رئيسيا لاختلاف المنهجية عند علماء الحديث والسيرة والتاريخ، كما أن اختلاف الاهتمام أدى إلى اختلاف المنهج. ومع أن المحدثين هم من صنفوا في الحديث النبوي طبعاً، ولكن يظهر لنا أنهم هم أول من صنف في السيرة والتاريخ كذلك فابن اسحاق محدث والطبري محدث، ثم اختلاف المساحة التي تغطيها مصنفات كل علم منهم؛ فبينما تغطي مصنفات الحديث المساحة الفقهية والشرعية بالدرجة الأولى، تغطي السيرة المساحة الشخصية الزمانية المحددة، ويغطي التاريخ أحداثا ومجريات عامة.

فمثلاً قد تميز صحيحا البخاري ومسلم بالصحة ويعتبرهم علماء السنة أصح كتابين في الحديث النبوي، واعتمد عليهما كثير ممن كتب في السيرة أو التاريخ؛ كما أن كبار المحدثين أمثال الحافظ ابن سيد الناس في كتابه (عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير) والحافظ الذهبي في كتابه (تاريخ الإسلام) عندما كتبا السيرة النبوية اعتمدا على الكتب الستة (البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة) لكنهما لم يتمكنا من الاستغناء عن كتب السيرة والتاريخ. ثم تتابع الاهتمام بالتدوين والتصنيف في التأريخ بما في ذلك فترة السيرة النبوية. وكان الاعتماد في نقل أخبارها على روادها الأوائل من المحدثين" (Al-'Omari, ND).

وبسبب هذه المنهجية الانتقائية لأهل الحديث في مروياتهم لم يودعوا مصنفاتهم أعدادا كبيرة من الروايات التي لم تتوفر بها شروط القبول، فأصبحت الكمية العددية لأحاديث السيرة في كتب الحديث أقل منها في كتب السيرة وكتب التاريخ، لأن المحدثين قبلوا في كتب التاريخ مالا يقبل في كتب الحديث، إلا أنهم تأثروا نوعا ما بالأساس الحديثي الذي انطلقوا منه .

أما كتب السيرة والتاريخ فالصحة لا تعنيها بنفس القدر بل يهمها التجميع حتى لو كان أثراً وليس حديثا واقرأ كلام المسعودي (Al mas'udi, ND) وهو يصف ما تضمنه كتاب تاريخ الطبري حيث يقول: "وأما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات، والزائد على الكتب المصنفات، فقد جمع أنواع الأخبار، وحَوَى فنون الآثار، واشتمل على صنوف العلم، وهو كتاب تكثر فائدته، وتنفع عائدته، وكيف لا يكون كذلك.! ومؤلفه فقيه عصره، وناسِكُ دهره، إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار، وحَمَلَة السنن والآثار".

وهذا لم يمنع المؤرخين من الإستفادة من طريقة المحدثين في التصنيف وتأثرهم بهم ما يقول صاحب كشف الظنون عند كلامه عن علم التاريخ وأهم مؤلفاته قال: (KhAlifa, 1941) (تاريخ: ابن أبي خيثمة المتوفى: سنة تسع وسبعين ومائتين وهو على طريقة المحدثين أحسن فيه وأجاد"، "تاريخ: ابن حبان محمد البستي الحافظ المتوفى : سنة 354 وهو على: طريقة المحدثين (KhAlifa, 1941)". ففي الحضارة الإسلامية إن التاريخ علم نشأ في محيط حملة الشرع من المحدثين والفقهاء.

وبُني على ما سبق ما يسمى نقد المرويات، ذلك أن كتب الحديث خُدمت أكثر من كتب السيرة والتاريخ من قبل النقاد، فمن المعلوم أنه حتى يقبل الحديث لاعتماده مصدراً للتشريع لا بد أن يكون صحيحاً متصلاً مرفوعاً إلى النبي محققاً لشروط قبول الحديث، ولكن في السيرة والتاريخ ليس الهدف التشريع بالدرجة الأولى فيكفي أن يكون متصلا لشاهد العيان، ونعني به الشخص الذي شاهد الحدث عيانا وعايشه وكان جزءاً منه.

ويعدّ المحدثون هم أول من وضع منهجاً علمياً لنقد المرويات التاريخية، وذلك من خلال نقد الأحاديث يقول رستم: "وأول من نظّم نقد الروايات التاريخية ووضع القواعد لذلك علماء الدين الإسلامي، فإنهم اضطروا اضطراراً إلى الاعتناء بأقوال النبي، وأفعاله لفهم القرآن وتوزيع العدل. فقالوا (Rustum, 2002) :"إن و إلا وحي يوحى، ما تلي منه فهو القرآن وما لم يتل فهو السنة" فانبروا لجمع الأحاديث ودرسها وتدقيقها فأتحفوا علم التأريخ بقواعد لا تزال، في أسسها وجوهرها، محترمة في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا"

إن الفرق بين كتب الحديث وكتب السيرة يتمثل في كون كتب السيرة تسوق كثيراً من الروايات بأسانيد مرسلة ومنقطعة، وتوجد هذه الروايات في كتب الحديث متصلة مسندة مما يوثق معلومات كتب السيرة. وقد اقترح بعض العلماء اعتماد منهج المحدثين على كل من مصنفات السيرة والتاريخ ولكن لاشك أنه ستتم بعض الإضافات والتعديلات إذا تم ذلك. وهناك بعض الفوائد إذا طبقنا قواعد النقد الحديثية "على الرواية التاريخية " فمن بعض النتائج التي سنحصل بسبب تطبيق هذا المنهج مثل توضيح بعض الجوانب التي اختلف فيها المؤرخون والمحدثون، مثلاً "غزوة بني المصطلق" يذكر البخاري في صحيحه أن الرسول داهمهم على غرة أما كتب السيرة (Al-'Omari, ND) فتذكر أنه أنذرهم وأنهم تأهبوا لقتاله وقاتلوه على ماء المريسيع.

ولتطبيق ما ذكرناه من الاختلاف المنهجي على الحديبية ذكرنا اختلاف الهدف من إيراد الحدث: فنجد كتب الحديث من منهجها في إيراد الحديبية الوقوف على الأحكام وليس سرد الحادثة؛ فلم يذكر بعضهم "الحديبية" كحدث لذاته، وإنما للإفادة منه، فيذكر جزئية معينة حدثت في خضم الأحداث العامة لهدف محدد، فيذكر بعض أحداثه لاستخلاص الفائدة الفقهية المباشرة وبيان السنن النبوية؛ وللتوضيح سأسرد بعض عناوين الأبواب التي ذكرها البخاري ومسلم (Al- Naisaburi, ND) والمتعلقة بالحديبية (Al-Bukhari, 1987): باب من أشعر، بَابُ جَزَاءِ الصَّيْدِ وَنَحْوِهِ (Al-Bukhari, 1987)، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ عندمسلم(Al- Naisaburi, ND)، بَابُ إِثْمِ مَنْ عَاهَدَ ثُمَّ غدر (Al-Bukhari, 1987)، بَابُ الِاشْتِرَاكِ فِي الْهَدْيِ وَإِجْزَاءِ الْبَقَرَةِ وَالْبَدَنَةِ كُلٍّ مِنْهُمَا عَنْ سَبْعَةٍ (Al- Naisaburi, ND)، وكما فعل البخاري ومسلم فعل غيرهما من أصحاب الحديث فنرى ابن ماجة (Al-Qazwini, ND) مثلا في سننه يروي قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأَصَابَتْنَا سَمَاءٌ، لَمْ تَبُلَّ أَسَافِلَ نِعَالِنَا، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ»، فقد رواه في كتاب الصلاة: بَابُ الْجَمَاعَةِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ، ليستخلص جواز الصلاة في الرحال.

أو يوردون الروايات لبيان شروط أو كيفيات سياسية وإدارية للدولة الإسلامية مثل ما جاء عند البخاري (Al-Bukhari, 1987) : بَابٌ: كَيْفَ يُكْتَبُ هَذَا: مَا صَالَحَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَفُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَإِنْ لَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى قَبِيلَتِهِ أَوْ نَسَبِهِ،الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ (Al-Bukhari, 1987)، بَابُ البَيْعَةِ فِي الحَرْبِ أَنْ لاَ يَفِرُّوا (Al-Bukhari, 1987)،

مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس والثلاثون، العدد الخامس، 2021.
hptt: 10.35682/0062-036-005-002

بَابُ اسْتِحْبَابِ مُبَايَعَةِ الْإِمَامِ الْجَيْشَ عِنْدَ إِرَادَةِ الْقِتَالِ، وَبَيَانِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عند مسلم (Al- Naisaburi,ND).

أو لذكر دلائل وشواهد نبوة الرسول حيث جاء عند البخاري (Al-Bukhari, 1987): باب علامات النبوة في الاسلام. والبخاري هو الوحيد من أصحاب الكتب الستة الذي جاء عنده باب غزوة الحديبية (Al-Bukhari, 1987) وأورد فيه أهم أحداث الحديبية بروايات توفرت فيها شروط الصحة.

أو للتحديد الزمني لحكم فقهي معين أو سنة نبوية تارة أخرى كما روى ابن ماجه (Al-Qazwini, ND) في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ أَرَادُوا دُخُولَ مَكَّةَ فِي عُمْرَتِهِ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ، «إِنَّ قَوْمَكُمْ غَدًا سَيَرَوْنَكُمْ، فَلَيَرَوُنَّكُمْ جُلْدًا» فَلَمَّا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ، اسْتَلَمُوا الرُّكْنَ وَرَمَلُوا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الرُّكْنَ الْيَمَانِيَ، مَشَوْا إِلَى الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ، ثُمَّ رَمَلُوا، حَتَّى بَلَغُوا الرُّكْنَ الْيَمَانِيَ، ثُمَّ مَشَوْا إِلَى الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ مَشَى الْأَرْبَعَ"، فالحدث المذكور ليس الحديبية لأن الرسول لم يعتمر عام الحديبية، وإنما العمرة التي أداها الرسول–صلى الله عليه وسلم– وأصحابه في العام التالي لعام الحديبية، فأراد أن يبين الحكم الفقهي للرمل. أو لبيان عدد عمرات الرسول فيذكر عمرة الحديبية خلالها (Al-Qazwini, ND) .

كتّاب السيرة

عندما تناول الواقدي (Al-Waqidi, 1989) الحديبية جعلها تحت عنوان"غزوة الحديبية"، لكن عندما سرد الغزوات في مستهل الكتاب ذكرها "عمرة الحديبية" (Al-Waqidi, 1989)، وعند ذكر من استخلف الرسول في خروجه للغزوات أطلق عليها "غزوة الحديبية" (Al-Waqidi, 1989)، وكان من منهج الواقدي ذكر الحدث بغض النظر من قال هذه المعلومة أو تلك، فنراه يقول بعد أن ذكر خمسة عشر راويا حدثوه عن ستة رواه عن هشام "فَكُلّ قَدْ حَدّثَنِي مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِطَائِفَةٍ، وَبَعْضُهُمْ أَوْعَى لِهَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضٍ، وَغَيْرُ هَؤُلَاءِ الْمُسَمّيْنَ قَدْ حَدّثَنِي، أَهْلُ الثّقَةِ، وَكَتَبْت كُلّ مَا حَدّثُونِي، قَالُوا: كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رَأَى فِي النّوْمِ أَنّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ، وَحَلّقَ رَأْسَهُ، وَأَخَذَ مِفْتَاحَ الْبَيْتِ، وَعَرّفَ مَعَ الْمُعَرّفِينَ، فَاسْتَنْفَرَ أَصْحَابَهُ إلَى الْعُمْرَةِ، فَأَسْرَعُوا وَتَهَيّئُوا لِلْخُرُوجِ. (Al-Waqidi, 1989)"

وأيضا من منهجه أنه ينقل مع الحدث الحالة النفسية المصاحبة فيقول: "وَخَرَجَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ، لَا يَشُكّونَ فِي الْفَتْحِ، لِلرّؤْيَا الّتِي رَأَى رَسُـــولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَخَرَجُوا بِغَيْرِ سِـــــلَاحٍ إلّا السّـــــيُوفَ فِي الْقُرُبِ، وَسَاقَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِـــهِ الْهَدْيَ، (Al-Waqidi, 1989)".

ومن منهجه ذكر تفاصيل الحدث يقول ضمن ذكره أحداث الحديبية: "وَقَدِمَ عَلَيْهِ بُسْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَعْبِيّ فِي لَيَالٍ بَقِيَتْ مِنْ شَوّالٍ سَنَةَ سِتّ، فَقَدِمَ مُسْلِمًا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرًا لَهُ، وَهُوَ عَلَى الرّجُوعِ إلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا بُسْرُ، لَا تَبْرَحْ حَتّى تَخْرُجَ مَعَنَا فَإِنّا إنْ شَاءَ اللهُ مُعْتَمِرُونَ. فَأَقَامَ بُسْرٌ وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُسْرَ بْنَ سُفْيَانَ يَبْتَاعُ لَهُ بُدْنًا، فَكَانَ بُسْرٌ يَبْتَاعُ الْبُدْنَ وَيَبْعَثُ بِهَا إلَى ذِي الْجَدْرِ حَتّى حَضَرَ خُرُوجُهُ، فَأَمَرَ بِهَا فَجُلِبَتْ إلَى الْمَدِينَةِ، ثُمّ أَمَرَ بِهَا نَاجِيَةَ بْنَ جُنْدُبٍ الْأَسْلَمِيّ أَنْ يُقَدّمَهَا إلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى هَدْيِهِ نَاجِيَةَ بْنَ جُنْدُبٍ." (Al-Waqidi, 1989) يلاحظ كم التفاصيل من ذكره لاسم الشخص ومتى جاء وبأي يوم بالضبط، وكونه مسلماً، وزائراً، وأنه كان في ذهابه لأهله، وقول الرسول له، وماذا يبتاع، وإلى أين يبعثها، وخطوات البيع والنقل.

لتتضح المنهجية أكثر، انظر إلى نقله تفاصيل هذا الحدث في الحديبية يقول: "وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمّ مَكْتُومٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمَدِينَةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِهِلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ، فَاغْتَسَلَ فِي بَيْتِهِ وَلَبِسَ ثَوْبَيْنِ مِنْ نَسْجِ صُحَارٍ، وَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ الْقَصْوَاءَ مِنْ عِنْدِ بَابِهِ، وَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ، فَصَلّى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الظّهْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، ثُمّ دَعَا بِالْبُدْنِ فَجُلّلَتْ، ثُمّ أَشْعَرَ بِنَفْسِهِ مِنْهَا عِدّةً، وَهُنّ مُوَجّهَاتٌ إلَى الْقِبْلَةِ، فِي الشّقّ الْأَيْمَنِ. وَيُقَالُ دَعَا بِبَدَنَةٍ وَاحِدَةٍ فَأَشْعَرَهَا فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ، ثُمّ أَمَرَ نَاجِيَةَ بْنَ جُنْدُبٍ بِإِشْعَارِ مَا بَقِيَ، وَقَلّدَهَا نَعْلًا نَعْلًا، وَهِيَ سَبْعُونَ بَدَنَةً فِيهَا جَمَلُ أَبِي جَهْلٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنِمَهُ بِبَدْرٍ، وَكَانَ يَكُونُ فِي لِقَاحِهِ بِذِي الْجَدْرِ. (Al-Waqidi, 1989)"مثل هذه المعلومات التفصيلية لن تجدها في كتب الحديث قطعاً.

ومن منهجه أنه ينقل الاختلاف لكنه لا يرجح إلا قليلاً، كنقله لعدد من خرج مع الرسول فيقول: "وَخَرَجَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ سِتّ عَشْرَةَ مِائَةً، وَيُقَالُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ، وَيُقَالُ أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا، خَرَجَ مَعَهُ مَنْ أَسْلَمَ مِائَةُ رَجُلٍ، وَيُقَال سَبْعُونَ رَجُلًا" (Al-Waqidi, 1989)، ثم رجح في موضع آخر وليس في موضع ذكر عدد من خرج مع النبي بل بين رأيين فقال: "فَنَحَرَ الْجَمَلَ عَنْ سَبْعَةٍ، أَحَدُهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ، وَكَانَ ابْنُ الْمُسَيّبِ يَقُولُ: كَانَ الْهَدْيُ سَبْعِـــينَ، وَكَانَ

النّاسُ سَبْعَمِائَةٍ، وَكَانَ كُلّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشَرَةٍ. وَالْقَوْلُ الْأَوّلُ أَثْبَتُ عِنْدَنَا أَنّـــهُ سِـــتّ عَشْرَةَ مِائَـةً" (Al-Waqidi, 1989).

ومن منهجه أن فسّر آيات سورة الفتح بما وقع من أحداث في الحديبية فنراه يقول: "وَكَانَ مِمّا نَزَلَ فِي الْحُدَيْبِيَةِ: إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً قَالَ: قَضَيْنَا لَك قَضَاءً مُبِينًا، فَالْفَتْحُ قُرَيْشٌ وَمُوَادَعَتُهُمْ، فَهُوَ أَعْظَمُ الْفَتْحِ. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ قَالَ: مَا كَانَ قَبْلَ النّبُوّةِ وَمَا تَأَخّرَ. قَالَ: مَا كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ إلَى أَنْ تُوُفّيَ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ. وَيُـتِمَّ نِعْمَتَـهُ عَلَيْـكَ، بِصُـلْحِ قُرَيْشٍ، وَيَهْدِيَكَ صِـراطاً مُسْتَقِيماً، قَالَ: الْحَقّ، وَيَنْصُرَكَ اللَّـهُ نَصْراً عَزِيزاً حَتّى تَظْهَرَ فَلَا يَكُونُ شِـــرْكٌ. هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكـــِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: الطّمَأْنِينَةُ، لِيَزْدادُوا إيمانـــاً مَعَ إيمانِهِمْ، قَالَ: يَقِينًا وَتَصْدِيقًا" (Al-Waqidi, 1989)

أما ابن هشام (Ibn Hisham, 1955) فقد ابتدأ عنوان الحدث بـ (أمر الحديبية) ثم جمع أهم أحداثه فقال: "أَمْرُ الْحُدَيْبِيَةِ فِي آخِرِ سَنَةِ سِتٍّ، وَذِكْرُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ وَالصُّلْحِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو".

ومن منهج ابن هشام اهتمامه بالسند تبعاً لابن اسحاق؛ فغالبا يذكر سند الرواية بدءاً بقوله قال ابن اسحاق، كما أنه يقف على التفاصيل لكن ليس على جزئياتها كالواقدي، فنراه مثلا في العدد يقول: "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ مِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ، لَا يُرِيدُ قِتَالًا، وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ سَبْعِينَ بَدَنَةً، وَكَانَ النَّاس سبع مائَة رَجُلٍ، فَكَانَتْ كُلُّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشَرَةِ نَفَرٍ. وَكَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فِيمَا بَلَغَنِي، يَقُولُ: كُنَّا أَصْحَابَ الْحُدَيْبِيَةِ أَربع عشرَة مائَة (Ibn Hisham, 1955)"

من جميل منهجه، وهو منهج ابن اسحاق أيضاً، وضع العناوين الفرعية للأحداث؛ حيث يعنون للحدث الأساس ثم يتفرع من هذا العنوان الكبير عناوين أخرى لجزئيات الحدث الكبير فنرى من أمثـــلة العناوين في الحديبية: (خُـــرُوجُ الرَّسُولِ) (نُمَيْلَةُ عَلَى الْمَدِينَةِ) (اسْتِنْفَارُ الرَّسُولِ النَّاسَ) (Ibn Hisham, 1955).

سأنقل جزءاً مما ذكره في كتابه للوقوف على منهجه بصورة أوضح يقول: "(الَّذِي نَزَلَ بِسَهْمِ الرَّسُولِ فِي طَلَبِ الْمَاءِ): قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَسْلَمَ: أَنَّ الَّذِي نَزَلَ فِي الْقَلِيبِ بِسَهْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاجِيَةُ بْنُ جُنْدُبِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ يَعْمُرَ ابْنِ دَارِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَائِلَةَ بْنِ سَهْمِ بْنِ مَازِنِ بْنِ سَلَامَانِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ أَفْصَى بْنِ أَبِي حَارِثَةَ، وَهُوَ سَائِقُ بُدْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَفْصَى بْنُ حَارِثَةَ.قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ زَعَمَ لِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ كَانَ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي نَزَلْتُ بِسَهْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاللَّه أَعْلَمُ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ". ثم يذكر عنواناً آخر (شِعْرٌ لِنَاجِيَةَ يُثْبِتُ أَنَّهُ حَامِلٌ سَهْمَ الرَّسُـــولِ) (Ibn Hisham, 1955). فيمكننا أن نرى من منهجه اهتمامه بالنسب(Ibn Hisham, 1955) حيث ذكر نسب ناجية كامـــلاً، ثم وظيفته، ثم يصحح لابن اسحاق الذي قـــال في هذا النص (أبي حارثة)، فصوبه ابن هشام (بن حارثة)، دقته وأمانته العلمية في النقل، ويتضح هذا من دقته في نقل كلام ابن اسحاق فنراه يقول في الجزء الأول من النص (قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي)، ثم في موضع آخر (قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ زَعَمَ لِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ)، وفرق كبير بين المعلومة المنقولة بالتحديث وتلك المنقولة بالزعم، ثم عندما لا يتأكد وليس عنده دليل يقول (فاللَّه أَعْلَمُ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ)، فلا يؤكد على اسم من نزل البئر لكنه يعطي مؤشرات ترجيحية مثل (زعم)، ثم إفراده عنوانا لشخر ناجية بنزوله فكأنه يرجحه.

ومن منهجه تدخله في تحليل النص لكن بقدر يسير جدا فنجده يقول (Ibn Hisham, 1955) في أحد عناوين الحديبية الفرعية: "عُمَرُ يُنْكِرُ عَلَى الرَّسُولِ الصُّلْحَ" فلم يقل مثلا موقف عمر، أو رأي عمر من الصلح بل تدخل في التحليل فقال عمر ينكر على الرسول الصلح، وفي موضع آخر يجعل العنوان" مَا أَهَمَّ النَّاسَ مِنْ الصُّلْحِ وَمَجِيءُ أَبِي جَنْدَلٍ" (Ibn Hisham, 1955)، فلم يكتف بذكر مجيء أبي جندل بل قام بتحليل أن سبب الغم والهم الذي لحق بالناس أنهم كانوا متأكدين من العمرة ودخول مكة وعدم تلقيهم بنود الصلح على أنه بادرة انتصار.

ومن منهجه تفســـير بعض الغريب كقولـــه: "الْمَعْكُوفُ: الْمَحْبُوسُ، وَالْمَعَرَّةُ: الْغُـــرْمُ" (Ibn Hisham, 1955)، وتفسير آيات سورة الفتح فيقول: "ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا. أَيْ لِرُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي رَأَى، أَنَّهُ سَيَدْخُلُ مَكَّةَ آمِنًا لَا يَخَافُ، يَقُولُ:

مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ، وَمُقَصِّرِينَ مَعَهُ لَا تَخَافُونَ، فَعَلِمَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا، صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ."

وينقل قول الزهري في مواضع ويعتمده في الترجيح فنراه يقول: "يَقُولُ الزُّهْرِيِّ: فَمَا فُتِحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتْحٌ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ، إِنَّمَا كَانَ الْقِتَالُ حَيْثُ الْتَقَى النَّاسُ، فَلَمَّا كَانَتْ الْهُدْنَةُ، وَوُضِعَتْ الْحَرْبُ، وَآمَنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالْتَقَوْا فَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمُنَازَعَةِ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدٌ بِالْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا دَخَلَ فِيهِ، وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تِينِكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ (Ibn Hisham, 1955)". يرجح عدد من خرج مع الرسول للحديبية وأنه 1400 عندما يذكر أن الصلح كان خيرا للمسلمين، فقد كان عدد المسلمين 1400 في الحديبية، ثم أصبح 10,000 في فتح مكة بسبب الهدنة، حيث يقول:" وَالدَّلِيلُ عَلَى قَوْلِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج إِلَى الحديبيّة فِي ألف وَأَرْبع مائَة، فِي قَوْلِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ خَرَجَ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ. (Ibn Hisham, 1955)" كما يعتبر كتابه مرجعا بالشعر الذي له علاقة بتلك الحادثة فنراه يذكر الأبيات الشعرية ويبين سببها ومناسبتها(Ibn Hisham, 1955).

ومن لطائف منهجه إيراده واقعة تاريخية أخرى لها علاقة بالحدث ثم التعقيب عليها، فيقول في عنوان فرعي: "سُؤَالُ ابْنِ هُنَيْدَةَ لِعُرْوَةِ عَنْ آيَةِ الْمُهَاجِرَاتِ وَرَدُّهُ عَلَيْهِ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْتُبُ كِتَابًا إِلَى ابْنِ أَبِي هنيدة، صَاحِبِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ.." ثم يذكر المعنى ثم يعود لعنوان فرعي ثان فيقول:" عَوْدٌ إِلَى جَوَابِ عُرْوَةَ"(Ibn Hisham, 1955).

بينما نرى ابن حبان (ت273هـ) في كتابه السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، عنون بـ"ثم كانت غزوة الحديبية" سرد الأحداث الرئيسة سردا سريعا مقتضبا لا يتجاوز ورقة واحدة حتى أن لم يأت على ذكر البيعة، ثم ذكر كملحق تخلف الجد بن قيس عنها، ونزول سورة الفتح أثناء رجوعهم، وقال وفي هذه العمرة: فذكر الأذى الذي لحق كعب بن عجرة وصلاة الرسول بعد مطر أصاب الأرض، ومعجزة تكثيره للماء. وابن عبد البر (Ibn 'Abd Al-Barr, 1403 AH) في كتابه الدرر في المغازي والسير عنون بـ "عمرة الحديبية"، وسرد أهم وأبرز الأحداث باقتضاب أيضاً، وتميز عن ابن حبان أنه أشار إلى: دعوة الرسول للقبائل العربية للخروج معه للعمرة وبطؤها في الاستجابة، أول من بايع،

قصـة العتقـاء، من حلق للرسول. كمـا أشـار إلـى الاختـلاف بصـورة يسيرة فـي: عدد من كـانوا مـع الرسول، اسم من نزل البئر ،علام بايعوا.

كتّاب التاريخ:

أما خليفة بن خياط (Ibn Khiyat, 1397 AH) فقد عنون للحدث بـ "صلح الحديبية"، ومن منهجه اعتماده على كتب السيرة فينقل كلام ابن اسحاق بما لا يتعدى الصفحة، وهذا يدلل على ما ذكرناه أن كتاب التاريخ اعتمدوا ابتداء على السيرة. وهاك نموذجاً من كتابته قال: "قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ قَالا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ لَا يُرِيدُ قِتَالًا وَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ سَبْعِينَ بَدَنَةً وَالنَّاسُ سَبْعُ مائَة.

ويهتم بذكر الحادثة بسندها قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَعْرَجِ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ شَهِدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَهُوَ رَافِعٌ غُصْنًا مِنْ أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ عَنْ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ يُبَايِعُ النَّاسَ فَبَايَعُوهُ عَلَى أَنْ لَا يَفِرُّوا وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَلْفٌ وَأَرْبَعُ مِائَةٍ.

أما شيخ المؤرخين الطبري (AL-Tabari, ND) ،فقد بدأ بأحداث السنة السادسة بغزوة بني لحيان ثم غزوة بني قرد –وهي تلي الحديبية– ثم غزوة بني المصطلق ثم حديث الإفك ثم جاء بعنوان "ذكر الخبر عن عمرة النبي صلى الله عليه وسلم الَّتِي صَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ فِيهَا عَنِ الْبَيْتِ، وَهِيَ قِصَّةُ الْحُدَيْبِيَةِ" فاعتبرها قصـة الحديبيـة، ومـن منهجـه الاهتمـام بالتفاصـيل فهـو يـذكر تفاصـيل الحـدث ومجرياتـه، وللوقـوف علـى أهـم خصائصـه المنهجيـة سـندرس قطعـة مـن تاريخـه لهـا علاقـة أيضـا بالحديبية؛ يقول الطبري: "قَالَ الزُّهْرِيُّ: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، حَتَّى إِذَا كَانَ بِعُسْفَانَ لَقِيَهُ بِشْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَعْبِيُّ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هذه قُرَيْشٌ قَدْ سَمِعُوا بِمَسِيرِكَ، فَخَرَجُوا .. وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ. وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ كَانَ يَوْمَئِذٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُسْلِمًا. ثم يقول: ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمِّيُّ، عَنْ جَعْفَرٍ – يَعْنِي ابْنَ أَبِي الْمُغِيرَةِ– عَنِ ابْنِ أَبْزَى، قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بِالْهَدْيِ، وَانْتَهَى إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ، .. فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ مَنَعُوهُ أَنْ يَدْخُلَ، فَسَارَ حَتَّى أَتَى مِنًى، فَنَزَلَ بِمِنًى، فَأَتَاهُ عَيْنُهُ أَنَّ عِكْرِمَةَ بْنَ ابى جهل قد خرج عليك في خمسمائة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ: يَا خَالِدُ، هَذَا ابْنُ عَمِّكَ، قَدْ أَتَاكَ فِي

الْخَيْلِ، فَقَالَ خَالِدٌ: أَنَا سَيْفُ اللَّهِ وَسَيْفُ رَسُولِهِ– فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ سَيْفَ اللَّهِ–: يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْمِ بِي حَيْثُ شِئْتَ فَبَعَثَهُ عَلَى خَيْلٍ، فَلَقِيَ عِكْرِمَةَ فِي الشِّعْبِ، فَهَزَمَهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ حِيطَانَ مَكَّةَ، ثُمَّ عَادَ فِي الثَّانِيَةِ، فَهَزَمَهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ حِيطَانَ مَكَّةَ، ثُمَّ عَادَ فِي الثَّالِثَةِ فَهَزَمَهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ حِيطَانَ مَكَّةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: «وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ» – إلى قوله: «عَذاباً أَلِيماً» ...ثُمَّ قَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا؟

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بَكْرٍ، أَنَّ رَجُلا مِنْ أَسْلَمَ قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، .." (AL-Tabari, ND).

ذكر الأسانيد بطولها حتى لجزئيات الأحداث، فعندما أراد أن يذكر جواب سؤال الرسول "مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا؟" جاء بالسند أن رجلا من أسلم قال: أنا يا رسول الله، وهذا انعكاس لشخصيته الحديثية من جهة، ولتوثيق النص المنقول من جهة ثانية، وحتى لا يظن أن كل ما ذكره صحيح فهو يورد السند لمن أراد أن يتحقق من صحة حدث أو ضعفه.

ثم إنه يرجح بتغيير الصيغة ذكر الحادثة التي تثبت أن خالد بن الوليد كان مع قريش في ذلك الوقت، وبعدها قال "وقد كان بعضهم يقول "وذكر القول إن خالداً كان مسلماً وهذا من منهجيته على تضعيف ذلك القول وهو استخدام "وقد كان بعضهم يقول "لأنه أوردها بصيغة التشكيك، وتعبير البعض ليشير أنه ليس المشهور المعلوم من السيرة والتاريخ والحديث، وصيغة الماضي" كان يقول "فكأنه يشعر بعدم قولهم هذا بعد ذلك. ثم من منهجه أنه قال بعد ذلك "ذكر من قال ذلك" فهو لم يكتف بذكر المقولة وإنما أتبعها بذكر القائلين لها.

ومن منهجه التعريف برجال السند فنراه يقول: "عَنْ جَعْفَرٍ– يَعْنِي ابْنَ أَبِي الْمُغِيرَةِ– ". ومن منهجه في الترجيح ألا يقول هذه رواية صحيحة وتلك ضعيفة إنما يذكر عبارة لغوية معينة تفهم القارئ مراده، فنجده عند ذكر من نزل البئر يقول: "فَأَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَأَعْطَاهُ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَنَزَلَ فِي قَلِيبٍ مِنْ تِلْكَ الْقُلُبِ فَغَرَزَهُ فِي جَوْفِهِ، فَجَاشَ الْمَاءُ بِالرِّيِّ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ عَلَيْهِ بِعَطَنٍ". فحدثنا ابْن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إِسْحَاق، عَن بَعْض أهل العلم، أَن رجلاً من أسلم حدثه، أَن الَّذِي نزل فِي القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجيه بن جندب ابن عمير ابن يعمر بْن دارم، وَهُوَ سائق بدن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم.

قَالَ: وَقَدْ زعم لي بَعْض أهل العلم أَن البراء بْن عازب كَانَ يَقُول: أنا الذى نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: وأنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجية، قَدْ ظننا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي نزل بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم." (AL-Tabari, ND) فالواضح من منهجه أنه مهتم بذكر أن رجلا من أصحاب الرسول نزل البئر أكثر من اهتمامه بمن هو، لأن الحدث المهم هو اثبات المعجزة للرسول بزيادة الماء بعد أن كان قد جف تقريباً وقد ثبتت لديه، لكن من الذي نزل البئر بالسهم ليس هو مقصوده من إيراد الحدث، ومع ذلك ذكر الصحابي ناجية أولاً ثم قال "وقد زعم لي بعض أهل العلم" فالصيغة تدل على ضعف هذا الذي سيذكره، ثم أيد ما يرجحه بأن قبيلة الرجل ذكرت فيه شعراً.

ومن منهجه أنه يبين زيادات المصنفين فيقول مثلاً "زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي حديثه" ويذكر الزيادة عما قد ذكره، وينقل من الواقدي فيقول (AL-Tabari, ND)" وَقَالَ الواقدي". كتاب تاريخي آخر المحبر لمحمد البغدادي ((Al-Baghdadi (ND) لم يعدو أن ذكر غزوة الحديبية كإحدى غزوات النبي، ومن جعله أميراً على المدينة عندما خرج (Al-Baghdadi, ND) .

وقد ذكر البخاري أحداثاً من الحديبية مفرقة إلا أنه في باب غزوة الحديبية وحده أورد 45 رواية في 9 صفحات، بينما ابن هشام والطبري أوردا أحداثها متصلة في مكان واحد في 20 صفحة بمزيد تفصيلات.

طبيعة اختلافهم في ذكرهم لعدد من خرج مع الرسول في الحديبية:

سأتناول جزئية معينة في حدث الحديبية ونرى كيف تعامل معها الطبري وابن هشام والبخاري: وردت روايات عدد من كان في الحدديبية مع الرسول عن سبعة من الصحابة في الكتب الثلاثة، فكيف تعامل كل من هذه الكتب مع مرويات العدد؟

من قال أن العدد 1300	3
من قال أن العدد 1400	6
من لم يحدد بدقة	4
من قال أن العدد 1500	3
من قال أن العدد 1525	1
المجموع	17

نبدأ بالبخاري فقد أورد في صحيحه 11 رواية كالتالي:

اسم الصحابي	عدد المرويات التي أوردها له	عدد الصحابة المذكور في روايته
البراء	2	1400
البراء	1	1400 أو أكثر
المسور	1	بضع عشرة ومائة
مروان بن الحكم	1	بضع عشرة ومائة
جابر	3	1500
جابر	1	1400
عبد الله بن أبي أوفى	2	1300

أما إبن هشام فاكتفى برواية واحدة عن جابر وأنهم كانوا 1400، مع إشارته أن من اشترك في الـ 70 بدنة كانوا 700 رجلا. أما الطبري فقد أورد في تاريخه 7 روايات كالتالي:

اسم الصحابي	عدد المرويات التي أوردها له	عدد الصحابة المذكور في روايته
المسور	1	بضع عشرة ومائة
مروان بن الحكم	1	بضع عشرة ومائة
ابن عباس	1	1525
سلمة	1	1400
جابر	2	1400
عبد الله بن أبي أوفى	1	1300

يظهر لنا من الجداول أعلاه أن:

- 7 من الصحابة رووا روايات عدد من كان مع الرسول في الحديبية.
- تراوحت الأعداد من 1300–1525 عند الطبري، ومن 1300 – 1500 عند البخاري.
- حسم إبن هشام الاختلاف عنده بذكره عدد 1400 فقط.
- اشترك البخاري والطبري بروايات أربع: المسور ومروان بعدد بضع عشرة ومائة، وجابر بعدد 1400، وعبد الله بن أبي أوفى بعدد 1300.
- انفرد البخاري عن الطبري برواية البراء من طرق ثلاثة، وانفرد الطبري عنه برواية إبن عباس بطريق واحد.
- البضع في اللغة ما بين 3–9 وهذا يعني أنهما قصدا 1300–1900.

- يحسم الموضوع رواية جابر لأنه هو سبب الاختلاف فقد روى 1400 وهو نفسه من روى 1500.
- 3 روايات لجابر عند البخاري 1500 ورواية واحدة 1400.
- من روى عن البراء 3 أحدهما قال 1400 أو أكثر.
- عدد الروايات التي أثبتت أن العدد يزيد عن الـ1400 (5 روايات) وروايتان لم تحدد (بضع ومائة).
- إحدى الروايات فيها جاء فيها تصحيح العدد فقد روى البخاري (Al-Bukhari,1987) عَنْ قَتَادَةَ، قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ: بَلَغَنِي أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ يَقُولُ: «كَانُوا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً»، فَقَالَ لِي سَعِيدٌ: حَدَّثَنِي جَابِرٌ: «كَانُوا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً، الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ»، ويؤيد هذا ما ذكره خليفة بن خياط في تاريخه إذ يقول (Ibn Khiyat,1397) : نَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ قَالَ نَاقُرَّةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ وَهَمَ جَابِرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ حَدَّثَنِي أَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةٍ".

يستطيع الدارس لهذه المرويات أن يؤكد أن العدد كان يزيد عن الـ 1400، فمن أهمل الزيادة قال 1400 ومن جبر الزيادة قال 1500. إذ أن 14 رواية من أصل 17 تذهب لهذا ولا تعارض ما ذهبنا إليه.

نأتي هنا لبيان منهج الطرح : أورد الطبري (AL-Tabari,ND) الروايات متتالية في مقام واحد فقال: "عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، انهما حدثاه قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، يُرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ، لا يُرِيدُ قِتَالا، وَسَاقَ مَعَهُ سَبْعِينَ بَدَنَةً، وَكَانَ النَّاسُ سبعمائة رَجُلٍ، كَانَتْ كُلُّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشْرَةِ نَفَرٍ. وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبْدِ الأَعْلَى، فَحَدَّثَنَا عَنْ محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمه.

وحدثني يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُبَارَكٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الحكم، قالا: خرج رسول الله ص مِنَ الْحُدَيْبِيَةَ، فِي بِضْعَةَ عَشَرَ وَمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بن عمار اليمامي، عَنْ إِيَاسَ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَدِمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص الْحُدَيْبِيَةَ، وَنَحْنُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ وَمِائَةٌ.

حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسَعِيدُ بْنُ شُرَحْبِيلَ الْمِصْرِيُّ، قَالا: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ الْمِصْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الحديبية ألفا وأربعمائة.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ البيعه تحت الشجرة ألفا وخمسمائة وَخَمْسَةً وَعِشْرِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى، يَقُولُ: كُنَّا يَوْمَ الشَّجَرَةِ أَلْفًا وثلاثمائة، وَكَانَتْ أَسْلَمُ ثُمْنَ الْمُهَاجِرِينَ.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إِسْحَاقَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنَّا أَصْحَابُ الْحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ وَمِائَةً. "

أما البخاري فقد وزع الروايات تبعا للحكم الشرعي أو الفائدة العلمية المستقاة من الرواية؛ فأورد (Al-Bukhari, 1987) رواية في باب من أشعرعن صحابيين هما المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بن الحكم وذكر فيها عدد بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وعنهما في باب غزوة الحديبية، وأورد في باب علامات النبوة في الإسلام (Al-Bukhari, 1987) عَنِ البَرَاءِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وفي باب غزوة الحديبية (Al-Bukhari, 1987) جاء فيه 8 روايات: عن البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وعن جابر كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً من ثلاث طرق، 1400 من طريقين، وعن عبد الله بن أبي أوفى 1300.

الخاتمة:

لقد خرجت السيرة النبوية من رحم الحديث، ومن ثم كانت هي بدايات التاريخ الإسلامي، وتبعاً لطبيعة العلوم أنها تنمو وتتطور فقد انفصلت هذه العلوم عن بعضها مع الزمن وتشكل لكل منها طابع خاص به يختلف عن الآخر. إلا أنه مع هذا الاختلاف احتفظت المصنفات في العلوم الثلاثة في القرون الأولى بسمات متشابهة أهمها وجود الإسناد للمرويات التي ضمنوها الكتب.

لقد كان اختلاف الغاية من كل علم سبباً رئيسياً في اختلاف منهجية التصنيف بينهم؛ فغاية الجمع والصورة المتكاملة تختلف عن غاية البحث عن الأحكام والتشريعات والسنن.

كما أن اختلاف المنطلق الذي انطلق منه كل علم فمن انطلق من منطلق التثبت في الرواية ومعرفة المقبول منها يختلف عن من كان منطلقه جمع أجزاء الصورة للحدث الواحد وبالتالي لا بأس من وجود روايات في كتب السيرة والتاريخ لا يقبلها علماء الحديث لعدم توافر شروط القبول فيها.

كما أن اختلاف المساحة الزمانية والمكانية والبشرية لكل علم من هذه العلوم شكل فرقاً بينها فبينما توقف علم الحديث بوفاة الرسول وكذلك السيرة إلا أنهما يختلفان في البداية الزمانية لكل منهما، ويختلف عنهما علم التاريخ باستمراريته الزمانية والمكانية والبشرية.

ومع كل هذا قد لا نجد علوما في التاريخ العلمي عامة تناولت حياة رسول وما صدر عنه وسجلت كمَّاً من المعلومات كماهو الحال لرسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في العلوم الثلاثة. ودراسة جادة شاملة مقارنة للعلوم الثلاثة قد تُظهر لنا كثيراً من الترجيحات بين الروايات المختلفة. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

References:

Al 'Aini, M (855 AH). 'Omdat Al qari sharh sahih Al bukhari V 3,13,14. Beirut: Dar ‘ehia’ Alturath Al'arabi.

Al-Ansari, Z (926 AH) (2005). Minhat Al-Bari with the explanation of Sahih Al-Bukhari. entitled "Tuhfat Al-Bari". Investigation: Sulaiman bin dari' Al'azemi . (1st ed.) V 5, V 7. Riyadh: Maktabat Alrushd.

Ibn 'Abd Al-Barr, Y (463 AH) (1403 AH). Aldurar fi ekhtisar Al Maghazi wa lSiar. Investigation: Dr. Shawky Daif. (2nd ed.). Cairo: Dar Al Ma'arif.

Al- 'Asqalani, Ibn Hajarm (1986). Lisan Al mizan. The investigation: Department of knowledge system, (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Al'amAli.

Al-'asqalani, A (13897). Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhari. Mohammed Fouad Abdul Baqi. V 1, 5, 8. Beirut: Dar Al-Maarifah.

Ibn 'Assaker, 'A (571 AH) (1995). Tarikh dimashq. Investigation: 'Amr bin garamah Al-'umrawy .(1st ed.). V 9. Beirut: Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution.

Al-Baghdadi, M (245 AH). Al Mhabar. The investigation: Elza Lichten Stetter .(1st ed.). Beirut :the new Horizons House.

Al-Baghdadi, KH (ND). Alkifaiah fi 'elm Al riwaiah. The investigation: ‘Abu Abdullah Al-Sorqi and Ibrahim Hamdi Madani. Al Madina Almunawarah: Al maktaba Al'ilmiah.

Al-Baghdadi, KH (1403 AH). Aljami' li akhlaq Alrawi waadab Alsami'. Investigation: Mahmoud Al-Tahan, (1st ed.). Riyadh: Maktabatu Al ma'arif.

Al-Baghdadi, KH (1417 AH). Tarikh Bagdad. Study and investigation: Mustafa 'Abdelkader 'Ata, (1st ed.) V1. Beirut: Dar Al kutub Al'lmiah.

Ibn Battal, 'A (449 AH) (2003). Sharh Saheeh Al-Bukhari for Ibn Battal . investigation: Abu Tamim Yaser Ibn Ibrahim, (2nd ed.). V 1. Riyadh: Al-Rushd Library.

Al-Baramawi, M (831 AH) (1433 AH). Allame' Alsabih bisharh Aljami' Alsahih. investigation and study: a specialized committee of investigators under the supervision of Nur Al-Din Talib. (1st ed.) V8, V 9. Syria: Dar Al-Nawader.

Al-Bayhaqi, A (458 AH) (1405 AH) . Dla’il Alnubuwah wa ma'rifat ahwAl Alshari'ah. (1st ed.). V 4. Beirut: Dar Al kutub Al'lmiah.

Al-Bayhaqi, A (458 AH) (1410H – 1989) .Alsunan Alsagir. Investigated by: 'Abd-ulmu'ti Amin qAl'aji .(1st ed.) V 4. Pakistan, Karachi:. University of Islamic Studies.

Al-Bukhari, M (256 AH) (1407-1987). Aljame' Almukhtasar Alsahih, Mustafa Dib Al-Buga, (1ST ed.). V 5. Beirut: Dar Ibn Katheer.

Al- Ya'coubi, A. & Tarikh Al- Ya'coubi, (1st ed.), Qum, founder and spread the Ahl Al bait. V2. Beirut: Dar Sader.

Al-Busti, M (354 AH) (1417 h). Biography of the Prophet and the news of the caliphs. commented by Hafiz, Mr. Aziz Bek and a group of scientists. (3rd ed.). V 1. Beirut: Al kutub Althaqafiah.

Hanbal, A (241 AH) (2001). Musnad Imam Ahmad bin Hanbal. Investigation: Shu'ayb Al-Arna'out,' Adel Murshid and others, supervisor: ' Abdullah bin muhsin Alturki, (1st ed.). V 21. Beirut: Mu'asasat AlrisAlah.

Ibn Hisham, 'A (213 AH) (1955). Al Sira Al nabawiah li Ibn Hisham. Investigation: Mustafa Al-Sakka and Ibrahim Al-Abiari and 'Abdul Hafeez hAlabi, (2nd ed.). V2. Egypt: Mustfa Al babi Al hAlabi.

Ibn Al-Jawzi, 'A (597 AH). Kashf Almushkil min hadith Alsahihain. Investigated by: 'Ali Husain Al bawwab, (1st ed.) V 2. Riyadh: Dar Alwatan.

Ibn Al-Jawzi, 'A (d. 597 AH) (1992). Almuntathem fi tarikh Al'umam wAl muluk. Investigation: Mohamed Abdelkader 'Atta, Mustafa Abdelkader 'Atta .(1st ed.). V 2. Beirut: Dar Alkutub Al'lmiah.

Al-Jazari, A (630 AH) (1997). Alkamil fi Altarikh. The investigation: 'Omar AbdulsAlam Tadmuri. (1st ed.) V 2. Beirut: Dar Al-Kitab Al-'Arabi.

Al- Karamani, M (854 AH) (2012). Sharh Masabih Al Sunnah lil Imam Al-Baghawi. Investigation: a speciAlized committee of investigators under the supervision of: Nur Al din tAlib. V 6. (1st ed.) Islamic culture administration.

Ibn Kathir, I (1986). Al bidaiah wal nihaiah. Beirut: Dar Al-Fikr.

Ibn Kathir, I (774 AH) (1976). Al sirah Al nabawiah (from the beginning and the end of Ibn Katheer). The investigation: Mustafa 'Abdel Wahed . (1st ed.)V 3. Beirut : Dar Al ma'rifah.

Khalifa, H (1067 AH) (1941). Kashf Al thunun 'an asami Al kutub wal funun. V2. Baghdad: Dar Al-Muthanna.

Ibn Khiyat, Kh (240 AH) (1397 AH). Tarikh Khalifa bin Khayat. investigation: d. Akram Dia' Al-'Amri, (2nd ed.). Beirut-Damascus: Dar Al-QAlam, Al-ResAla Foundation.

Al-Kela'i, S (634 AH) (1420 AH). Al'ektifa' bima tadammanahu min Mghazi of the Messenger of Allah - peace be upon him - and the three caliphs. (1st ed.) V 1. Beirut: Dar Alkutub Al'elmiah.

Ibn Khulduon, 'A (808 AH) (1988). Diwan Almubtada' wAl khabar fi tarikh Al arab wAl barbar. the investigation: Khalil Shehadeh. (2nd ed.) .V2. Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Kirmani, M (786 AH) (1356 AH) .Al kawakib Al darari fi sharh Sahih Bukhari . (1st ed.). V 1(12,13). Beirut: Dar éhia' Al turath Al'arabi.

Ma'rouf, B(1386 AH). Athar Al hadith fi nash'at Al tarikh "end Al Muslimin". Al-Aqlam Magazine. Part 21.

Al mas'udi ND. Murooj Althahab. V4.

Al-Maqrizi, A (845 AH) (1999). 'Mta' Al'asma' bima lilnabi mina Al ahwAl wAl amwAl wAl hafadah wAl mata'. Investigation: Mohamed 'Abdel-Hamid Al-Nemisi, (1st ed.). V1. Beirut: Dar Al kutub Al 'elmiah.

Al Naisaburi, H. (1411 AH). Almustdrak 'Ala Alsahihain. the investigation: Mustafa Abdul Qadir' Ata, (1st

ed.) Beirut: Dar Alkutub Al'lmiah.

Al- Naisaburi, M. (261 AH). Al musnad Al sahih Al mukhtasar bi naql Al 'adl 'an Al'adl 'ilallah peace be upon him, famous for Sahih Muslim. investigation: Mohamed Fouad 'Abdel Baqi. V3. Beirut: Dar 'ihia' Al turath Al 'arabi.

Al-Nawawi, M. (676 AH) (1392 AH). Alminhaj sharh Sahih Muslim bin Hajjaj. (2nd ed.) .V 12. Beirut: Dar 'hia' Al turath Al 'arabi.

Al-'Omari, A(ND) Merweiyat Al-Sira 'Al-Nabawiyyah qawa'ed Al muhadethin wa riwaiat Alakhbariin .

http://www.muslim-library.com/dl/books/ar4435.pdf

Al-QastAllani, A. (923 AH). Almawahib Alladuniah bilminah Al Mohammedia. V 1. Cairo: the library of conciliation.

Al-Qazwini, Y. (273 AH). Sunan Ibn Majah. Investigation: Mohamed Fo'ad 'Abdel Baqi. V 2. Beirut: Dar éhia' Alkutub Al'arabiah.

Al-San'ani, 'A. (211 AH) (1403 AH). Almusannaf. investigation: Habib Al-Rahman Al-'Azmi, (2nd ed.). V5 India: Scientific Council.

Ibn Sayid Al-Nas, M. (734 AH) (1993). Oyoon Al-'Athar fi funun Al-Maghaz. Al-Shama'il wa Al-Siar. Commentary. Ibrahim Muhammad Ramadan. (I st ed.). V 2. Beirut: Dar Al-QAlam.

AL- Shami, M. (942 AH) (1993). Subul Alhuda wAlrashad fi sirat khair Al'ibad. investigated by: 'Adil Ahmad . (1 st ed.) V 4. Beirut: Dar Al-Kuttub Al-'elmiah.

Al-Sindi, M. (1138 AH). Hashiat Al-Sindi 'Ala Sunan Ibn Majah. sufficiency in explaining Sinan Ibn Majah. (2nd ed.) V 1. Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Suhaili, 'A. (581 AH) (1412 AH). Al Rawd Al'unuf fi sharh Al sirah Al nabawiah. (Ist ed.). V 6. Beirut: Dar 'ihia' Alturath Al'arabi.* Al-Zurqani, M (1122 AH) (1996). Sharh Alzurqani 'Ala Almuahib Alladuniah bilminah AlMohammedia . (1 st ed.) . V 3. Beirut: Dar Al-Kuttub Al-'elmiah.

Al-Qari, ' A. (1421 AH) .Sharh Al-Shifa. (1st ed.) .V 1. Beirut : Dar Al-Kuttab Al-'elmia.

Al-QastAllani, A. (923 AH) (1323). Ershad Al-Sari lisharh Sahih Bukhari . (7th ed.) V 5,9 . Egypt: The Great Press Amiri.

Al-Qazwini, Y. (ND). Sunan Ibn Majah. Investigation: Mohamed Fo'ad 'Abdel Baqi. V 2. Beirut: Dar éhia' Alkutub Al'arabiah.

Rustum A (2002). MustAlah Altarikh. (1ST ed.). Beirut: Almaktaba Al'asriah.

Ibn S'ad, M (230 AH)(1968). Al tabaqat Alkubra. The investigation.Ihsan 'Abbas.(1st ed.) V 2. Beirut: Dar Sader.

Al-Tabari, M (310 AH). Tarikh Al-Tabari: The history of the messengers and kings. (2nd ed.). V 2. Beirut: Dar Al turath.

Al- Thahabi, M (748 AH) (2003). Tarikh Al Islam wa wafaiat Al mashahir wAl 'lam investigated by: Bashar 'Awwad Ma'rouf. (1st ed.). V 1. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Al-Waqidi, M (207 AH) (1989). Al- Maghazi. Inquiry: Marsden Jones, (3rd ed.). V2. Beirut: Dar Al-Amali.

مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس والثلاثون، العدد الخامس، 2021.
hptt: 10.35682/0062-036-005-002